



العدد ٦

كانون الأول ١٩٤٨

مجمع مؤلفي جمعية قصصنا العربية

مجلة تصدرياً كويتية

هجرة النبي العربي

لم ييأس الرسول عليه السلام ولم ينثن رغم تلك الصدمات التي لاقاها والصعوبات التي صادفها فأخذ يمرض الاسلام على الحجاج في موسم

كلمة
فضيلة الشيخ عبد الحميد عبيدرو
التي القاها في الاحتفال بميد رأس
السنة الهجرية بالمدرسة المباركية

اخواني المسلمين :
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،
بسم الله الرحمن الرحيم
الرهرة ونهاجها :

الحج ، فوجد ضالته المنشودة عند أهل يثرب الذين بأيامه على أن ينموه مما يمنعون منه نساءهم وابناءهم ، وبذلك فتح أمام الرسول عليه السلام باب الأمل والنصر ، وتراءت أمام ناظره وجوه الخلاص من الأيذاء والاضطهاد فاعتنما . هذا الحادث التاريخي العظيم كانت له نتائج هامة وآثار خطيرة إذ تغيرت الاوضاع الدينية والسياسية في شبه جزيرة العرب ، وتكونت جبهه اسلامية قوية ضد الشرك والمشركين ، ومهدت السبيل لنجاح الدعوة الاسلامية نجاحاً لم يسبق له مثيل ، كما كان هذا الحادث أساساً لبناء دولة اسلامية فتية أخذت تنشر تعاليم الدين السمحة ومبادئ العدالة والحرية ، الاخاء والمساراة في ربوع العالم .

زيادة قوة الروح المعنوية في المسلمين وضمها في المشركين :
أخذ النبي صلى الله عليه وسلم ينظم حياته الجديدة في المدينة وهو ممتليء ثقة بربه ومستبشر بمستقبل زاهر حافل بجلائل الاعمال ، فازدادت قوة الروح المعنوية في المسلمين بالرغم من تركهم لوطنهم وفراقهم للاهل والولد . بذلك النجاح الباهر الذي تقذت به الهجرة رغم ما عقده

منذ ١٣٦٧ عاماً حدث حادث جليل غير مجرى الحياة الدينية والسياسية في جزيرة العرب ، ثم تلى ذلك تغير مجرى الحياة العامة في العالم المتحضر إذ ذاك . فاندك عرش اكاسرة الفرس وتصدع ملك قياصرة الروم وانتقلت زعامة العالم من الاكاسرة والقيصرة الى العرب .

ذلك الحادث هو هجرة محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى المدينة (ربيع الاول سنة ١ هجرية ، سبتمبر ٦٢٢ م) .

لقد حاول محمد عليه السلام قبل هجرته - بكل الطرق - أن يقنع قريشاً بفساد ما هي عليه من غي وضلال وبطلان دين ، ولكنها كانت ترد عليه دعوته كبراً وجحوداً وتمعن في اضطهاده وايدائه حسداً وعناداً .

فراى انه لا بد له من عضد يؤازره ونصير يساعده ويدفع عنه أذى قومه حتى يؤدي رسالة ربه . فهداه تفكيره الى التماس المعونة والنصر من خارج مكة فذهب الى الطائف لعله يؤثر في قلوب ساداتها ويحوّلهم عن عباداتهم ويضمهم الى صفه ، ولكنهم ردوه رداً قبيحاً وأجابوه بمثل ما كانت تجيه قريش .

المنوية وقوى من عزائم المسلمين ، وجاء مصداقاً لقوله تعالى « اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون » .

التألف بن الحوسى والخزرج :

أما أهل المدينة فقد ألف بين قلوبهم ، إذ ليست هناك نعمة على الجماعة اعظم من نعمة الوحدة والأخاء ، كما انه ليست هناك نعمة على الجماعة شرا من نعمة الفرقة والعداء وإذا أراد الله بأمة خيراً ألف بين قلوب أبنائها وجمعهم كلمة واحدة ، ووجههم وجهة واحدة . وإذا أراد الله بأمة سوءاً جعل أبنائها شيعاً واحزاباً وفرق كلمتهم وبدد شملهم فقد من الله على سكان المدينة من الأوس والخزرج بالتآلف والتصافي فيما بينهم بهجرة الرسول إليهم ، فقد لبثوا عشرات السنين اعداءً متحاربين وخصوماً متباغضين تقوم بينهم الحروب الطاحنة بين أونه وأخرى فلما هاجر الرسول عليه السلام إليهم طرخوا الشحنة جانباً وقويت الالفة والمودة بينهم وصاروا قلباً واحداً ويدا واحدة واصبحوا بنعمة الاسلام وبمقام محمد عليه السلام بينهم اخواناً متحابين ونسي الاوسي اوسيته والخزرجي خزجيته وتآخوا مع المهاجرين ، قال تعالى : « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

بهذا التألف بين الاوس والخزرج والتآخي بين الانصار والمهاجرين تكونت جبهة اسلامية قوية الروح شديدة التضامن فامتت الدعوة الاسلامية من المدوان

المشركون من مؤامرات وما بذلوه من جهود ومعاومات ليحولوا بين المسلمين والرسول وبين الهجرة ، فلما تمت الهجرة بهذا النجاح العظيم بعثت في نفوس المسلمين انصاراً ومهاجرين روحاً فتيه وزادتهم ايماناً وقوة واتحاداً ، واعتز كل فريق منهم بالآخر وتنافسوا في حماية الدعوة وإعلاء كلمة الله .

أما المعسكر الآخر ، معسكر المشركين ، فقد ضعفت روحهم المنوية ضعفاً شديداً وقت في عضدهم ، فقد كانوا موقنين بأنهم سيحصرون محمداً ودعوته في داخل مكة ولهذا حرصوا أشد الحرص على تنوع خطواته والوقوف على اخباره وتحذير كل من يتصل به من اتباعه والايمان به . فلما وقفوا على ما تم بينه وبين أهل يثرب وعلموا بما عزم عليه من الهجرة إليهم قرروا ان يحولوا بينه وبين الهجرة وانفقت كلمتهم على ان يقتلوه لأنه لو افلت من ايديهم لارتفع شأنه وعلت كلمته واعتز سلطانه ، فلما خاب سعيهم ، وفشلت خططهم وأفلت من حصارهم ووصل الى يثرب واستقبل فيها بالبشر والترحيب سُقط من ايديهم ورأوا أنهم قد أخفقوا وايقنوا ان الدعوة المحمدية قد شقت طريقها الى النجاح . وعلموا ان محمداً وصحبه قد أبدلهم الله ببلدنا وداراً وبأهلهم أهلاً وإخواناً . فوهنت عزائمهم ويئسوا من احباط الدعوة ومقاومتها ، وتبدل موقفهم من مهاجرين لمحمد ودعوته ، ومعتدين على من آمن به إلى مترقبين لما سيفعله بهم محمد وأصحابه عليه وعليهم أفضل السلام وأتم التحية . هذا التبديل في موقف المشركين أضنف روحهم

لهذا لقي النبي صلى الله عليه وسلم ولقيت دعوته من كيدهم وحرهم ما لقيه من مناهضة قريش وعنادهم ، وكما كان سلاح المشركين في مكة الايذاء والاعتداء على الانفس والاموال كان سلاح اليهود في المدينة الدس والمكر والتحريف والاقتراء وقد انجحت المحنة في هذا الميدان المدني ، كما انجحت في الميدان المكي عن ثبات النبي صلى الله عليه وسلم وتجاح دعوته ، فقهرهم بحججه واجلاهم عن المدينة بقوته .

ويحاول اليهود الآن ان ينشئوا لهم في فلسطين دولة بعد ان فشلوا في اقامتها مئات السنين ، ولكن دونهم وتحقيق هذه الامنية خرط القتاد . فان الله الذي همى نبيه منهم ومن مكرهم ونصر دينه على اباطيلهم سيحيي بمشيئته فلسطين من كيدهم ويحفظها للعروبة والاسلام .

الهجرة كانت اعمرنا ونشراً لدرعرة الممورية :

زيادة على ذلك فقد كانت الهجرة اعلاناً عن الدعوة الحمديّة وتبليغاً لمن لم تبلغهم وبرهاناً ساطعاً على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وتأيد الله له ، فقد شغل العرب في شبه الجزيرة بأمر الهجرة وما حدث فيها من آيات باهرات وعلم بأمر النبي عليه السلام من لم يكن قد علم به ، وتنبهت عقول كثير منهم إلى أنه مؤيد من ربه ، وإلا فكيف خرج من بيته في مكة وعين حراسه الغلاظ الشداد ترمقه وكيف نجا من النار هو وصاحبه على مرأى من هؤلاء الاعداء وافلت من أيديهم وكيف دانت له قلوب من في المدينة وهم في شغل شاغل عنه بعداوتهم وحرورهم وكيف ضحى هو واصحابه بأموالهم واولادهم وأوطانهم في سبيل عقيدتهم .

عليها ووقفت في وجه خصومها ، وشقت طريقها للنجاح وهداية الناس .

ولقد إمتن الله على المسلمين بهذه الالفة والاخوة فقال جل ذكره « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » .

هزيمة اليهود بهر هزيمة المشركين :

وكما تعرض الاسلام في بدء حياته لعمت المشركين وايدائهم تعرضت الدعوة الحمديّة في المدينة لانكار اليهود وجدالهم ، فقد كان اليهود يسكنون المدينة وضواحيها وكانوا يعرفون من كتبهم واخبارهم أن نبياً عربياً قد آن وقت ظهوره ويعرفون اوصافه وسماته فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكنتموا الحق وهم يعلمون ، وقد أيد الله رسوله بالآيات البينات والحجج الواضحات وانزل السور الطوال في شأنهم موضعاً خطأهم وضلالهم ولكنهم لم يهودوا لصوابهم أو يرجعوا عن غيهم بنياً وحسداً وكبراً وبطراً ، لأنهم عرفوا أنه سيكشف اباطيلهم ويذهب بسيادتهم ، قال تعالى « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » وقال « وإذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقاً لما معهم » وقال « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا » .